ندوة «مدارات غربية» مع آلان جوكس وسلفادور باليدا

امبراطورية الهذيان الجماعي

نظم ناشر «مدارات غربية» الدكتور محمد نعمة هذين الحوارين في باريس مع كل من الباحث والمفكر الفرنسي آلان جوكس (Alain Joxe) والباحث الإيطالي سلفادور باليدا (Salvator Palidda) .

الأسئلة التي وجهت إلى جوكس وباليدا كانت واحدة، حيث سنجد في الإجابات ما يثير النقاش على رؤيتين أوروبيتين مختلفتين حيال المكوِّنات الانثرو- سوسيولوجية للبناء القومي الأميركي.

ولعل الوجه الأكثر مدعاة للمساءلة في ما أفضت إليه محاورة هاتين الشخصيتين، هو عرضهما الجريء لراهن أميركا ومقبلها والمآلات التراجيدية لليبرالية الجديد التي تلقي بأثقالها على عالم ما بعد الحرب الباردة.

م . غ

أجرى الحوار:
د. محمد نعمة

ترجمة: **حسين قبيسي**

مدارات غربية: ليس المحافظون الجدد هم الذين اخترعوا القومية الأميركية، كمرادفة لتبشيرية مسلّحة، هذه الأطروحة قديمة وهي تعود - على ما نعرف - إلى تكوين هذه الأمة نفسها، عندما امتزج الديني بالسياسي، والحيّز الجغرافي بالكتاب المقدس، والطهروية بالتماهي بأرض الميعاد التوراتية. غير أننا نشهد، لأول مرة في تاريخ البشرية، ظهور قاعدة أخلاقية بين الأمم مبنيّة حصرياً على خلط غير سوي بين الحرية والقوة، على مزيج متفجّر من الحقيقة والهيمنة. .

هل بإمكانكم أن تحدّدوا لنا مفاعيل هذه الأخلاقية على استقرار عالمنا؟

ألان جوكس: لن نتناول مشكلة العالم من خلال مسألة الاستقرار. فمن البداهة أن نجد أن الوضع العالمي لا يعرف الاستقرار. وإذن، فذاك كلام من نوع اللغو والحشو، لا بل إنه كلام لا معنى له البتّة. إن «الأخلاقية» الأميركية كانت موجودة على الدوام، ومع ذلك فقد كانت عديمة التأثير عملياً على العالم.

الإنطباع السائد عبر الإعلام، ومنذ سقوط الاتحاد السوفياتي، هو أن الأخلاقية الأميركية، والتزمت الديني لدى بعض الفرق البروتستانتية الإنجيلية الصغيرة المقطوعة الصلة بالعالم القديم، ولا تتصل به إلا عبر العبادة المتحجّرة لأنبياء التوراة، هما الفضيلة الشمولية الوحيدة المطروحة على العالم اليوم وإن ذلك لهو بفضل التفوّق المالي، والعسكري المطلق للولايات المتحدة. سوى أن ذلك

الطرح لا يعدو كونه خرافة من الخرافات ووهماً من الأوهام. فثمة طروحات أخلاقية وسياسية أخرى تدور حولها مناقشات واسعة في العديد من بلدان العالم، بما في ذلك الولايات المتحدة نفسها.

لقد كانت مسيحانية الولايات المتحدة الأميركية قائمة طيلة الفترة التي عُرِفَت بالحرب الباردة. وقد اصطدمت بمسيحانية لا تقلّ عنها عنفاً وخطورةً هي مسيحانية الستالينية. ولا بدّ هنا من طرح السؤال حول مفاعيل انعدام الاستقرار في العالم اليوم على صوغ الأخلاقية الأميركية في شكل عدواني. فما يُسمّى بانعدام الاستقرار في العالم حالياً، هو في رأيي، تفاقم اللاّمساواة على الصعيد الكوني: أي تزايد غنى الأغنياء وتقلّص عددهم من جهة، وتزايد فقر الفقراء وتكاثر عددهم من جهة ثانية. وتفاقم الظلم الذي غدا بيّناً وواضحاً، على الصعيد الكوني أيضاً، ناشئ عن أسباب تقنية/اقتصادية ومالية، وعن تعزيز عسكرة البوليس على المستوى الكوني، ما يتيح المضيّ في إنجاز المشروع «البلوتوقراطي» (حكم الأغنياء) الذي تقوم به الشركات العابرة للقوميات (أي «المتعددة الجنسيات») التي تستند إلى الدولة الإمبريالية الأميركية، وتؤسس مجموعة من السيادات الجديدة غير الجغرافية، وغير الاجتماعية، والقائمة على أخلاقية الربح وحدها.

إن الإيديولوجيا السائدة هي هذه: أخلاقية الربح، أرباح الشركات العابرة للقوميات التي لا يمكن حصرها في مكان، ولا يمكن تعيينها في موقع محدد. وهذا وضع لا يُطاق ولا يمكن احتماله أخلاقياً، لا من ناحية المستفيدين منه ولا من ناحية ضحاياه الذين يئنون تحت وطأة هذه العولمة التي تزعزع المكاسب الاجتماعية. فينتج عن ذلك كله هروب في اتجاه ديانات أكل الدهر عليها وشرب. فالأخلاقية الجديدة هي نتيجة وليست سبباً. وهي ليست أميركية محضة. إنها هروب وتخلّف مزدوج: تخلّف المعمدانيين الأميركيين، وتخلّف السلفيين الإسلاميين، الذين يشكلون ثنائياً جهنمياً في انبعاث ظلمات القرون الوسطى التي تنيخ بكلكلها على التفاهم بين الشعوب.

سلفادور باليدا: أعتقد أنه إذا أردنا تفسير المفهوم العالمي الممتد للسيطرة التي تمارسها السلطة الحالية للولايات المتحدة، فلا بدّ لنا قبل كل شيء من تحليل منطق التطور الليبرالي الشامل. وهو أمر لا نستطيع التوصل إليه من خلال تحليل بسيط للأفكار والفلسفات وإنما برأيي من خلال الوقائع والممارسات الحسية. فالنيوليبرالية الشاملة، بعيداً عن ممارسات السيطرة المستمرة السابقة، تتعارض مع ما عرفناه خلال أكثر من قرنين لأنها ليست سوى محاولة لهيمنة الفوضى المستمرة، وهي محاولة يعبَّر عنها باللجوء المستمر إلى القوة والعنف

آلان جوكس:

لقد كانت مسيحانية الولايات المتحدة الأميركية قائمة طيلة الفترة التي عُرِفَت بالحرب الباردة. وقد اصطدمت بمسيحانية لا تقلّ عنها عنفاً وخطورةً هي مسيحانية الستالينية.

آلان جوكس:

- مفكر وباحث فرنسي.
- مدير مركز الدراسات في مدرسة الدراسات العليا للعلوم الاجتماعية في باريس.
- مؤسس ومدير مركز الأبحاث المتعددة حول السلم والدراسات الاستراتيجية CIRPES

له عدة مؤلفات منها:

1- دورة الردع، La Decouverte 1995.
2- سفر إلى أصول الحرب P.V.F 1991.
3- امبراطورية الانهيارات La Decouverte 2002.
4- إمبراطورية وفوضى New York 2002.

وإلى إبراز التفاوت بين المسيطِر والمسيطَر عليه. ويستبعد كل احتمال في اعتماد الوساطة السلمية وذلك لأن النيوليبرالية تهدف إلى تحقيق أكبر نسبة من المكاسب من خلال سيطرة لا تمنح شيئاً، وإنما تقوم على السرعة، والمرونة، والتجزئة، والتنافر، ولا يمكن أن تفرض إلا بالعنف. ثم أن أحداً لا يقبل طوعاً بأن يكون مستعبداً. باختصار، فإن النيوليبرالية هي حرية السيطرة بكافة الوسائل وبعيداً عن أية مفاوضات؛ يريد المسيطِر من خلالها امتلاك حرية التصرف من دون ضغوطات. لهذا السبب، أظن أن الحرية هنا تتوافق مع الحق في ممارسة العنف إلى أبعد حد. وتجسد الولايات المتحدة حالياً أو بالأحرى تسعى إلى تجسيد هذا النوع من السيطرة المفروضة لأن البلدان الخاضعة لها عاجزة حتى الآن عن الانتفاض إلا من خلال قيامها بتحركات ضعيفة (كتلك الداعية إلى السلام) أو باللجوء إلى وسائل يائسة ومتطرفة (الإرهاب الحاصل نتيجة العمليات الإرهابية). لا تستطيع بأية حال زعزعة القوة المهيمنة؛ وهو وضع يذكرنا بعض الشيء بما حصل في القرن التاسع عشر حيث لم تكن الطبقات الخاضعة أو المستعمرة تملك أيضاً القدرة على الإنتفاض. ولكن اليوم لا يمكن لهذه القدرة أن تتولد بالطريقة نفسها إلا من خلال اعتماد الهجوم، لأننا لم نعد ضمن إطار الدول– الأمم ولا ضمن وجود التجمعات الاجتماعية الناتجة عن البنية الإنتاجية أو المهيمنة. فإن التوصل إلى خلق إمكانيات جديدة لمقاومة السيطرة النيوليبرالية يتطلب وقتاً. وفي الوقت عينه، يبدو أن هذه الأخيرة لن تستطيع فرض سيطرة الفوضى المستمرة لفترة طويلة.

مدارات غربية: هل يمكن وصف التوجّه الذي أعطاه جورج ووكر بوش للنزعة القومية في الحزب الجمهوري، بالقطع الإيديولوجي، باعتماده أفكاراً هي نقيض الأفكار القومية عند ابراهام لنكولن. وكما تعرفون فإن لنكولن الجمهوري حين شنّ الحرب فلم يفعل ذلك لغزو أراض جديدة (كارولينا الجنوبية) بقدر ما كان ذلك لتحرير العبيد (التبشيرية الكونية)، بينما يرافع بوش لمصلحة «حرية كونية» أو «ديمقراطية شاملة» من أجل تدعيم الخصوصية الأميركية وموقعها المهيمن. هل يؤثّر هذا الإنعطاف الإيديولوجي، فقط على العلاقة مع الخارج، أم أنه يؤثر كذلك على المجتمع برمّته؟

ألان جوكس: إن التحول الذي تصفه بأنه يذهب بعكس اتجاه ابراهام لنكولن وأفكاره كالتي كانت ترمي إلى تحرير العبيد، هو في الواقع تحوّل، لكنه ليس على أساس الفكرة التي يبشر بها بوش في الخارج بوصفها حرية كونية وديموقراطية عالمية. فهذه مجرّد حشو كلام لا معنى له، العالم كله يرى ويسمع ويعرف تمام المعرفة أن ممارسات الولايات المتحدة في عموم أنحاء العالم ليست

سلفادور باليدا:
أستاذ علم الإجتماع في كلية العلوم التربوية في جامعة جينوفا (إيطاليا).
مساعد مسؤول المجموعة الإيطالية في المشاريع التالية:
-"Thematic network of the European Research Centers in the Social Sciences on the Euro-mediterranean region".
-"European Liberty and Security in Europe"
-"The Changing Landscape of European Liberty and Security"
أبرز المنشورات:
The new management of migrations, "History and Anthropology", issue 61/1/2005 (March)
Devianza e vittimizzazione tra i migranti, Milano, ISMU-Angeli, 2001
Polizia postmoderna. Etnografia del nuovo controllo sociale, Milano, Feltrinelli, 2000.

لها علاقة من قريب ولا من بعيد بإرساء ديمقراطية عالمية، وإنما هي تهدف إلى أن تصنع على صعيد العالم (عولمة) طوفان من الاستعباد الليبرالي وأن تدمّر الدول. وهذا على عكس ما ذهب إليه لنكولن، من زوايا نظر مختلفة بما فيها إزالة الحدود السياسية للدول، وتدمير توازناتها الاجتماعية الجزئية. أي في الواقع، أن التغير الإيديولوجي الحاصل، من شأنه، من الآن فصاعداً، أن يرسّخ الإنفصام بين الشؤون الخارجية والشؤون الداخلية؛ وبخاصة في إدارة العنف القمعي. والتعامل المخصوص بالخارج والداخل هو تعامل بوليسي إلكتروني على الحدود سواء بين الدول المستقلة المنفصلة، أم بين الدول التي يجمعها شكل ما من أشكال الوحدة أو التحالف، حيث تجوب هذه الحدود دوريات، وقوات خاصة إلى هذا الحدّ أو ذاك، شبه عسكرية أو عسكرية.

سلفادور باليدا: كما ذكرت سابقاً، فإن بوش وحلفاءه يسعون إلى تزعم النيوليبرالية الشاملة وذلك بكل ما يملكونه من نفوذ كونهم أبطال الحرية والديمقراطية (لا ننكر أن هذا النفوذ ملكهم، ألا وهو نفوذ المسيطرين الذين يطالبون به كشرط). وتلقى هذه الخطة نجاحاً محتماً ليس على صعيد المجتمع الأميركي فحسب وإنما العالمي أيضاً. وتعتمد جميع بلدان العالم تقريباً، المسيطرة منها والخاضعة، المنطق والممارسة النيوكونيين. قد يكون المعذبون (لا سيما المهاجرون منهم) الذين يتواجدون في التجمعات السكنية الكبيرة في المدن التابعة للبلدان المسيطرة المشابهين الأوفر حظاً لمعذبي الأرض المنتشرين في كافة أنحاء العالم. فنحن لا نعلم بعد إلى أي مدى يمكن للنيوليبرالية أن تصل. أعتقد أن هنالك تراجعاً كبيراً للعلوم الإجتماعية الناقدة.

مدارات غربية: لكن القوميين الأميركيين يتّفقون على عدد من نقاط التفكير تميّزهم عن سواهم، مثل:

ـ الولايات المتحدة الأميركية لها حق التصرّف على المستوى الدولي، كما يحلو لها، في كل الأوقات والأمكنة، وفق مصالحها وضروراتها القومية.

ـ القانون الدولي قائم بمؤسساته من أجل الآخرين، لا من أجل أميركا، بوصفها «أمة الأمم».

ـ يمتلك هذا البلد قوة عسكرية لا تُضاهى، وله امتياز إبقاء هذه القوة فوق كل شبهة أو شك وخارج كل تنافس. هذا الامتياز الذي يختلط بصورة عجيبة مع «الحرية الأميركية»، ألا ترون أنه يرتكز بالتحديد على غياب فاضح لما يوازيه عالمياً من سلطات كونية تقابله، وتؤمن التوازن الضروري بين الشعوب؟

ألان جوكس: تتناول النقطة الثالثة معايير الانطوائية والأحادية الجانب التي

آلان جوكس:

ممارسات الولايات المتحدة في عموم أنحاء العالم ليست لها علاقة من قريب ولا من بعيد بإرساء ديمقراطية عالمية، وإنما هي تهدف إلى أن تصنع على صعيد العالم (عولمة) طوفان من الاستعباد الليبرالي وأن تدمّر الدول.

تجسدها الإدارة الأميركية وتمنحها شرعية، بوصفها نوعاً من الحق الإلهي، واضعةً إياها فوق الدول. هذا الزعم الباطل لا يفسّر وهم السلطة المطلقة الذي تشرنقت فيه الولايات المتحدة، منذ سقوط الاتحاد السوفياتي، والذي تعتقد أنها تثبت أنه واقع حقيقي بإرسالها جيوشاً وحملات عسكرية غير مشروعة في نظر الأمم المتحدة. وحتى يتحوّل ذلك الوهم إلى حقيقة، فلا بدّ من توافر عدد من النجاحات، هي ليست متوافرة للسياسة الأميركية. فحرب أفغانستان آلت إلى تدمير بلد بأكمله، وإلى تعزيز اقتصاد قائم على تجارة القتل والموت. أما الحرب على العراق فقد تحولت إلى هزيمة عسكرية نكراء. ومشروع الحرب على إيران الذي يُعَدّ الآن، لا يعدو كونه، كما يبدو، غير استعراض وهمي للقوة المطلقة. إن إنشاء قواعد عسكرية في قلب آسيا الوسطى، لا يرافقه أي مشروع سياسي يتمتّع بصدقية. والدعم الدائم لليمين الصهيوني المتطرّف، وللقوات شبه العسكرية الكولومبية هو عملية دعم وتشجيع للمكانين اللذين تجري فيهما تجارب حرب المدن الإلكترونية المبنية على الاغتيالات المبرمجة والموجهة لكل مقاومة شعبية. إن استعداد الولايات المتحدة لنوع من الحرب العالمية بلا حدود، يبدو في نظر الدول مشروعاً كريهاً يثير السخط والإشمئزاز. ولا يجد هذا المشروع تغطية نفقاته المالية إلا من العجز الدائم الذي يزداد تفاقماً بشراء الصين لسندات الخزينة الأميركية. إن الاستقلال الأميركي الفعلي هو استقلال مهزوز سريع الانهيار. وبكلام آخر، فإن التوازن المقابل للهيمنة العسكرية الأميركية غير المحدودة، قد بدأ سواء كانت بدايته في الصين، أم في روسيا، أم في أوروبا، أم في أميركا اللاتينية. إن القوة المناهضة على الصعيد العالمي لا تظهر عبر الإعلام، ولا تعلن عن نفسها من خلال أعمال دعائية. وهذا ما يدخل الطمأنينة إلى القلوب لأن الخطر الذي تواجهه هو خطر حقيقي تواجهه البشرية جمعاء، ولن يمكن التصدّي له والتغلّب عليه إلا بأعمال حقيقية، ورصينة وليست صورية ومشهدية.

سلفادور باليدا: يعد هذا الأمر من أبرز نتائج النجاح النيوليبرالي الشامل الذي أوجد الولايات المتحدة في مركز امتيازي حتماً (وهو مركز لم تتمتع به القوى العظمى السابقة ولا حتى تلك التي قد تظهر لاحقاً، كالصين والهند). على أية حال، يكمن الطابع البارز للسيطرة العالمية الحالية في التفاوت الهائل بين الأكثر قوة وغيره (لا نقصد هنا الشعوب التي لا اعتبار لها وإنما القوى الأخرى). تعمل النيوليبرالية على إلغاء كل إطار معياري وطني ودولي وكل غزو ديمقراطي ولا سيما الحقوق الأساسية لأننا أمام سيطرة الأقوى الذي يتطلع إلى حرية التصرف الكاملة. من المحتمل في نهاية الأمر أن ينهزم كل من الولايات المتحدة والمسيطرين النيوكونيين المنتشرين في كافة أنحاء العالم، لأن هيمنة

سلفادور باليدا:

حرب أفغانستان آلت إلى تدمير بلد بأكمله، وإلى تعزيز اقتصاد قائم على تجارة القتل والموت. أما الحرب على العراق فقد تحولت إلى هزيمة عسكرية نكراء. ومشروع الحرب على إيران الذي يُعَدّ الآن، لا يعدو كونه، كما يبدو، غير استعراض وهمي للقوة المطلقة.

الفوضى المستمرة ستزول مع الزمن. فلننظر إلى الوضع في العراق ولنطرح السؤال التالي: هل من الممكن أن تخرج الولايات المتحدة من هذا المأزق لتعلن حرباً جديدة خارج العراق؟ وكذلك، إلى أي مدى يمكن للأمن التي تسعى الدول المسيطرة إلى فرضه أن يستمر في ظل سيطرة الفوضى؟ وإلى متى سيظل الصراع غائباً بين المصالح النيوكونية والحاجة إلى الهدنة، والسلام، والسكينة، والرفاه الإجتماعي التي ستستبعد أكثر جراء خوض حروب مستمرة.

مدارات عربية: عبر هذه الاستثنائية المعلنة، تحتكر أميركا وحدها تصنيف الأمم إلى أمم صالحة وأخرى شريرة. إلا أنها لا تحدد المعايير التي تندرج الأمم على أساسها ضمن هذه الفئات. يبدو أن الولايات المتحدة لم تتوصّل حتى إلى فرض هذا التصنيف فعلياً. برأيكم، لماذا لم يستطع القوميون الأميركيون تحقيق وعودهم بـ«أمن أكبر للعالم»؟ حالياً، لماذا أخذت دول «محور الشرّ» و«الدول المارقة» تتنفس الصعداء في ظلّ صمت لافت لدى إدارة بوش؟

ألان جوكس: تبدو عودة بوش إلى الإستناد على دعم وتأييد دول محلية مارقة دخلت بيت الطاعة وأعلنت خضوعها للولايات المتحدة، أو إلى الاستناد إلى أنظمة طُوِّعت وتمّ إخضاعها، شبيهة بدليل قوة، غير أنها هروب حكومة امبريالية لا تمتلك أي سند إيديولوجي لدى الشعوب. فهي لا تعتمد إلا على أنظمة الطغاة. صحيح أن الدعم الأميركي سهّل عودة الديمقراطية إلى بعض البلدان كلبنان وأوكرانيا، غير أنه ينبغي لنا أن نلاحظ أن الديمقراطية في هذين البلدين يتأتى من رفض عارم للعودة من جديد إلى حرب أهلية مدمّرة. هذا الرفض هو أحد الحوافز الأساسية التي يعتمد عليها الاتحاد الأوروبي في البحث عن السلام والديمقراطية: وتكفي لذلك ذكريات الحربين العالميتين الأليمة؛ إن ذاكرة الشعوب تفرض فكراً سياسياً يقضي بأن رفض العنف المحلي يقع على عاتق القوى المحلية ويحمّلها مسؤوليتها. تنتصر الامبراطورية الأميركية عندما تتمكن من خوض حروب عن قرب وطويلة الأمد كما في فلسطين وكولومبيا. وتنهزم عندما يجد شعب من الشعوب في نفسه القدرة على رفض الحرب الأهلية، كما في لبنان وأوكرانيا.

سلفادور باليدا: من أجل الإطمئنان، لا بد من التوصل إلى خطة ما لإعادة السلام،وهي خطة لا تتحقق إلا عن طريق التفاوض والهدنة. باختصار، يبدو النموذج المتمثل في التحول من حالة الفوضى إلى النظام مجرد وهم، كما رأينا في العديد من المحاولات التي جرت عبر التاريخ في العالم بأسره. في الواقع، يعد هذا الأمر مألوفاً، إذ أن التاريخ كان حافلاً دوماً بحالات متتالية من الفوضى، بينما كان النظام حالة عابرة في الزمان والمكان، لا يسود إلا خلال فترات

سلفادور باليدا:

من المحتمل في نهاية الأمر أن ينهزم كل من الولايات المتحدة والمسيطرين النيوكونيين المنتشرين في كافة أنحاء العالم، لأن هيمنة الفوضى المستمرة ستزول مع الزمن.

التفاوض والوساطة والتسوية. وبهذه الطريقة فقط يمكن الإطمئنان وإعادة السلام، غير أنه وللمرة الأولى في التاريخ، تقوم السلطة المسيطرة – بقوة لا مثيل لها – بإعلان حرب دائمة لا يحدها زمان. لذا من الطبيعي أن يظهر الأكثر نفوذاً، على عكس ما هو سائد، قدرته على إرساء نظامه وسلامه بشكل سريع لأنه يمتلك الغلبة اللامتناهية. ولكن النيوكونيين يدركون بأن التحدي اليوم لا يكمن في إعادة السلام والنظام وبالتالي إعادة الأمن. ولا يمكن للقاعدة المالية والإقتصادية والسياسية إلا أن تولد الفوضى. وفي المقابل، ترتبط مصالح النيوكونيين بأعمال النفط والصناعة العسكرية والبوليسية والأمنية. فمن غير المجدي البحث عن منطق مناسب يفسر السلوك الأميركي، فالتفسير الوحيد يكمن في توليد الحروب كعمليات بوليسية في كافة أنحاء العالم. فكل ما يمكن أن يخدم القيام بحملة ضد الإرهاب سوف يستخدم في الوقت المناسب طالما أن الإدارة الأميركية قادرة ولفترة طويلة على التحكم بزمام الأمور.

مدارات غربية: على ضوء الفظائع اليومية الدائمة في العراق، ما هي المحصّلة التي ترونها عن الأرباح والخسائر التي أصابت إيديولوجيي هذه الحرب الذين ابتعد بعضهم عن إدارة بوش؟

ألان جوكس: على المدى البعيد، ليست خسائر الإيديولوجيين بأهمية الخسائر البشرية؛ علاوة على شطط إيديولوجيي القمع، فإن اللجوء إلى المرتزقة والمحاربين شبه العسكريين، كما هي الحال في كل الحروب الاستعمارية (الكولونيالية) تؤول في نهاية المطاف إلى التعريض بمبادئ الديمقراطية ودولة القانون ووضعها في مهبّ الأخطار. لا بدّ من الإبقاء على شيء من الثقة في المصادر الأخلاقية والديمقراطية للأمة الأميركية، عندما ستضع جردة حساب بفظائع الحرب في العراق، كما فعلت عندما وضعت جردة حساب بفظائع الحرب الفيتنامية.

آلان جوكس:

تنتصر الامبراطورية الأميركية عندما تتمكن من خوض حروب عن قرب وطويلة الأمد كما في فلسطين وكولومبيا. وتنهزم عندما يجد شعب من الشعوب في نفسه القدرة على رفض الحرب الأهلية، كما في لبنان وأوكرانيا.

سلفادور باليدا: على الأرجح، تكمن الصعوبة الأكبر التي تواجهها إدارة بوش في كيفية إيجاد طريقة للخروج بشكل مقبول من العراق. ففي حال نجحت المقاومة العراقية في الإستمرار، وفي حال ساء الوضع في أفغانستان والخارج بالنسبة إلى الولايات المتحدة، فسوف ينهي بوش فترة حكمه الثانية بطريقة سيئة وقد ينتهي به الأمر إلى تسليم إدارة الفوضى إلى أحد الديمقراطيين. كل ذلك وقف على الوضع العالمي، فعلى سبيل المثال، هل توشك الصين أو روسيا على الوقوع في صراع إجتماعي خطير؟ ومن جهة أخرى، من المستبعد أن تحظى اوروبا بحكم ذاتي. باختصار، من الصعب التصور بأن الولايات المتحدة سوف تجبر، على المدى القصير، على الهزيمة، ولكنها، على الأرجح، سوف

تواجه صعوبات متزايدة. فالتحركات المعارضة للسيطرة النيوليبرالية ما زالت ضعيفة جداً للتمتع بقوة قادرة فعلياً على تغيير الوضع. فنحن ما زلنا في مرحلة أولية من المقاومة.

مدارات عربية: سؤال حول أحداث الساعة: كيف تفسّرون ردّ الفعل الساخر لدى بعض الإيديولوجيين والمسؤولين الأميركيين على اقتراع الفرنسيين ضدّ الدستور الأوروبي؟ مع العلم بأن هذا الاقتراع لم يكن بأكثريته تشكيكياً أو مناهضاً لأوروبا، بل بالأحرى كان اقتراعاً نقدياً تجاه أوروبا شديدة الليبرالية أي تلك المشابهة للأنموذج الأميركي. ما الذي يمكث خلف هذا التعدّي الساخر لدولة ما وراء الأطلسي، ألا نلمح حالة عداء ضدّ بناء الإتحاد الأوروبي؟

ألان جوكس: إن ردود الفعل الأميركية الساخرة على نتائج الاستفتاء الفرنسي هي حدث إعلامي حقيقي؛ لكنها بعيدة كل البعد عن التحليل السياسي المتماسك. إنها تعبير ساطع عن الإفلاس الثقافي والفكري في الولايات المتحدة التي لا تريد، على الدوام، أن تفهم ما يحدث في العالم. من أجل السيطرة على العالم من غير إدراك العالم وفهمه، لا بدّ من الاستعداد لقمعه بالقوة. من جهة فرنسا، يعني الاستفتاء: إننا نريد أوروبا أكثر عدالة اجتماعية من تلك التي أسفرت عنها العملية الأوروبية منذ اتفاقية ماستريخت. فإذا كانت المسألة مسألة دستور، فإن هذا الدستور ليس ديمقراطياً بما فيه الكفاية كي يتيح إنتاج سياسة اجتماعية عادلة في حال فوز اليسار في أوروبا. وإذا كانت المسألة مسألة معاهدة (اتفاقية ماستريخت) فإنها والحق، معاهدة تعزز التعريف الليبرالي الجديد للمجموعة الاقتصادية الأوروبية، وهي إنما تفعل ذلك أيضاً من دون أن تضع بحزم حداً لطغيان وجهة نظر الشركات العملاقة على وجهة نظر الدول والممثلين المنتخَبين. فإذا كنا ندرك أن دول أوروبا الشرقية ـ التي ما زالت في طور تصفية استبداد الاقتصاد الموجّه الموروث عن الإنظمة الستالينية البائدة ـ تبحث في أوروبا عن وجهها الليبرالي الجديد، فإن الحاجة إلى سياسة عدالة إجتماعية في أوروبا لا تكون ألعوبة في يد مراكز القوة المالية، وفي خدمة مصالح الشركات العملاقة، هي، موضوعياً، حاجة أكثر أهمية لدول الاتحاد الجديدة المتخلّفة اقتصادياً، منها للدول القديمة الديمقراطية والمتطورة. الـ «لا» الفرنسية تأخذ ذلك كله بالحسبان؛ وسيعود الكلام طويلاً على هذا الموضوع، بروية وواقعية، عندما ستتصدر صفحات الجرائد الأولى أخبار الفئات الشعبية المفقرة والبائسة في بولونيا ورومانيا. ولن يتأخر اليوم الذي سنقرأ فيه أخبار هذه المآسي.

سلفادور باليدا: إمتاز التصويت في فرنسا بكونه واقعة داخلية للبلاد. في

سلفادور باليدا:

من الصعب التصور بأن الولايات المتحدة سوف تجبر، على المدى القصير، على الهزيمة، ولكنها، على الأرجح، سوف تواجه صعوبات متزايدة.

المقابل، تمر أوروبا بوضع بائس؛ فالطبقة السياسية وضيعة وكذلك الأغلبية المثقفة وهي لا تملك أية فرصة لوضع استراتيجية ما تجعلها قوة أوروبية ذات حكم ذاتي، فالأميركيون يسخرون منها بسهولة.

مدارات غربية: كيف تتصوّرون عالمنا ومكانة أميركا بين الشعوب الأخرى، من دون هذه النزعة القومية السائدة؟ هل من الممكن تحويلها باتجاه مصلحة أميركا ومصلحتنا جميعاً؟ وما هي الوسائل المطلوبة من أجل ذلك؟

ألان جوكس: ربما تتحوّل السياسة الأميركية ذات يوم وتتغيّر تحت وطأة جارها الأميركي اللاتيني. في الوقت الحاضر، تعيش النخب الأميركية حالة من الهذيان الجماعي وهي تتصوّر أن عولمة العالم وتجميعه تحت نظام واحد أمر ممكن بفضل سلطتهم المركزية؛ وهذا ما يمنعهم من التبصّر جدياً في مستقبل مجتمعهم. إن إعادة تحديد المشكلات الاجتماعية تبدأ من صوغ جديد لبرنامج اجتماعي/سياسي يشدد على حسن الجوار حين تتحوّل المشكلة الاجتماعية أو مشكلة التعايش ما بين الجماعات والفئات والطوائف المختلفة لتصبح مشكلة أمنية ذات تقنيات قمعية شبه عسكرية.

إن الجار المكسيكي هو صلة الوصل الوحيدة التي تصل الولايات المتحدة بالعالم المتخلّف. ولربّما أمكن لها أن تتعلّم ذات يوم من هذا الجار كيف تضع خطة للتقدّم تكون على المستوى العالمي (العولمي). فالعالم القديم مدعوٌّ بأجمعه لكي يدلو بدلوه ويُسهم في وضع الخطة هذه. لكن ذلك يستحيل في ظلّ الطاقم الأميركي الحاكم حالياً والذي اجتمعت له كل المثالب والعيوب التي تجعل منه زمرة طاغية أكل الدهر على أمثالها وشرب.

سلفادور باليدا: إنه السؤال الأصعب لأننا لم نتوصل بعد إلى كيفية خلق مقاومة تستطيع أن تتوسع باتجاه تحرك فعلي شامل ضد السيطرة النيوليبرالية. وهذا الأمر يطبق على مستوى الفئات الإجتماعية الصغيرة كما على المستوى السياسي الشامل. وتعد التحركات التي قامت ضد الحرب على العراق من أكثر التحركات أهمية في التاريخ. ولكننا نمر بحالة من العجز ولا نستطيع المراهنة على أوروبا أو الصين أو روسيا أو حتى على المقاومين العراقيين. وقد يكون إعادة وضع احتمالات جديدة للتحرك الديمقراطي الوسيلة المحتملة الوحيدة، ولكننا، بلا شك، بصدد المرور بإحدى أكثر المراحل سوءاً في تاريخ تحرير الإنسانية.

سلفادور باليدا:

تمر أوروبا بوضع بائس؛ فالطبقة السياسية وضيعة وكذلك الأغلبية المثقفة وهي لا تملك أية فرصة لوضع استراتيجية ما تجعلها قوة أوروبية ذات حكم ذاتي، فالأميركيون يسخرون منها بسهولة.